المحاضرة الثالثة: الإطار النظري لعلم النفس المدرسي، أهميته وأهدافه.

تمهيد

1. **الإطار النظري لعلم النفس المدرسي**
2. **أهمية علم النفس المدرسي**
3. **أهداف علم النفس المدرسي**
4. **وظائف علم النفس المدرسي**

1. الإطار النظري لعلم النفس المدرسي

لا يمكن لأي علم أو فرع من فروع المعرفة أن يجد له مكانا بين العلوم المختلفة إذا لم يكن له قاعدة علمية متينة ورصينة، تعتبر بمثابة الخلفية النظرية، التي تشكل إطارا مرجعيا يعتمد عليه في بناء المفاهيم والمنطلقات، التي لا غنى عنها في دراسة أي ظاهرة تشغل اهتمام الباحثين عن المعرفة، وعلم النفس المدرسي لا يشذ عن هذه القاعدة، فرغم حداثة نشأته كفرع من فروع علم النفس، إلا أنه أستطاع أن يجد له مكانا بين مختلف الفروع النظرية، وحتى التطبيقية لعلم النفس في ظرف زمني قصير، ولعل ذلك قد يرجع إلى أن الفضاء الخصب لتطبيق مبادئه وتوظيف مفاهيمه هو المدرسة، بكل مكوناتها باعتبارها المؤسسة الرسمية التي أوكلها المجتمع مهمة تربية أبنائه وتعليمهم، بما يكفل نموهم وتطور شخصياتهم، وبما يمكنهم من القيام بأدوارهم في المجتمع، وقد كان من نتائج هذا الاهتمام تشكيل منظومة من المفاهيم والتعاريف والمنطلقات التي شكلت البناء المعرفي والمفاهيمي لعلم النفس المدرسي.

ولم تظهر الأبنية المعرفية لعلم النفس المدرسي من فراغ، بل كان للتراث النظري الذي ميز الفكر السيكولوجي بكل تياراته، على مدار العقود الماضية دور كبير في بروز المنظومة المفاهيمية لهذا الفرع الحديث النشأة، ذلك أن علم النفس المدرسي يعتبر "تجسيدا مهما للجانب التطبيقي لنظريات علم النفس الحديثة، حيث انتقل علم النفس المدرسي إلى الميدان الحقيقي للتعلم "المدرسة"، وذلك بهدف التعرف عن قرب على خصائص التفاعل بين عناصر الموقف في هذا الميدان(المتعلم، المعلم، عملية التعلم ومحتواها من علوم ومعارف مختلفة) للاكتشاف المبكر لأي مشكلة تعرقل سير العملية التعليمية أو تعرقل تفاعل عناصر الموقف التعليمي معا، والعمل على معالجتها، ومن ثم نشأت ضرورة وجود الخدمات في المواقف التربوية حتى يسهل التعرف على المشكلات قبل أن تداد تعقيدا.

فالمتأمل لتطور الفكر السيكولوجي خاصة منذ بدابات القرن العشرين يلحظ الجذور المفاهيمية لعلم النفس المدرسي، فموضوع التعلم مثلا أسست له العديد من النظريات النفسية خاصة السلوكية منها على غرار نظرية التعلم الشرطي **لإيفان بافلوف**، ونظرية التعلم بالمحاولة والخطأ **لإدوارد ثورندالك** الذي يعتبره البعض الأب المؤسس لعلم النفس التربوي، ونظرية التعلم الإجرائي **لبروس سكينر**، الذي كان التعليم المبرمج من بين أهم التطبيقات التربوية لنظريته، هذه النظريات على سبيل المثال لا الحصر كانت بمثابة القاعدة الخلفية لمفهوم التعلم المدرسي، بما وفرته من مخرجات كانت ولا زالت محل توظيف للعديد من المنظومات التربوية الحديثة.

ولم تكن المدرسة السلوكية فقط إطارا مرجعيا لمفاهيم علم النفس المدرسي، بل رافقتها في ذلك كل من مدرسة علم النفس المعرفي ومدرسة علم النفس الإنساني التي شكلت نظرياتهما أهم الروافد العلمية لهذا الفرع التطبيقي، بما وفرته من مفاهيم تتعلق أساسا بأهم الآليات التي يعتمدها العقل البشري في التعامل مع المعرفة أيا كانت طبيعتها، عقلية أو انفعالية أو حسية، فظهور مفاهيم كالقدرات العقلية والذكاء والنمو المعرفي العقلي والدافعية للتعلم والقدرات والاستعدادات والميول والاهتمامات، ساهمت بشكل كبير في تحديد أهم المجالات التي يهتم بها علم النفس المدرسي، كما أن بعض المواضيع التي تعتبر محل اهتمام الدارسين لعلم النفس المدرسي، كموضوع صعوبات التعلم يتم التنظير لها بالاعتماد على العديد من المداخل السيكولوجية، على غرار المدخل السلوكي الذي يأخذ بعين الاعتبار دور العوامل البيئية، والمدخل المعرفي الذي يهتم بالوتيرة النمائية للفرد في بعدها العقلي كما درسه **جون بياجييه** في نظرية النمو العقلي.

ولعل من أبرز مجالات الاهتمام في علم النفس المدرسي، يتجسد في مفهوم التفاعل الصفي باعتباره أحد العوامل الأساسية في تحديد وتيرة التعلم المدرسي وبناء المعارف الأكاديمية، وباعتبار دوره المحوري في التحصيل الأكاديمي للمتعلمين، هذا المفهوم أي التفاعل الصفي يتم تناوله في إطار ما يسمى بديناميات الجماعة الذي أسس له **كارت ليفين** في نظرية المجال، ومفهوم التعلم الاجتماعي الذي أفرد **آلبرت باندورا** نظرية التعلم الاجتماعي التي أصبحت من أهم المرجعيات في التراث السيكولوجي، خاصة عندما يتعلق الأمر بموضوع التعلم الإنساني، وقد شكلت هذه النظرية إطارا علميا مشتركا لكل من الفكر السيكولوجي السلوكي والفكر السيكولوجي المعرفي.

2. أهمية علم النفس المدرسي

يقوم علم النفس المدرسي على الافتراض القائل بأنه " كلما اكتشفت المشكلة أسرع سهلت معالجتها" أو كلما كانت المعالجة قريبة زمنيا من حدوث المشكلة، تكون فرصة نجاح المعالجة أفضل، هذا الافتراض يؤكد ضرورة وجود خدمات نفسية في المواقف التربوية، حتى يسهل التعرف على المشكلات قبل أن تزداد تعقيدا، وبالتالي يصعب معها الحل أو العلاج.

ولا يمكن لأي كان التكفل بالمشكلات المدرسية، لأن هذه المهمة تتطلب فهما ودراية كافيتين، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال عمليات التكوين والتدريب، التي تستهدف الإعداد الشامل والمتكامل للمتخصصين في مجال التعلم المدرسي، ويعتبر علم النفس المدرسي التخصص الأقرب لتأهيل هذه الفئة، بما يتضمنه من محتويات معرفية متخصصة، تشمل مختلف الأطر النظرية التي عالجت مختلف المفاهيم المتعلقة بطبيعة هذه المشكلات، كمفاهيم التكيف الدراسي والصحة النفسية والتوافق النفسي والفروق الفردية وسيكولوجية

الذكاء والعمليات العقلية، وغيرها من المفاهيم التي تشكل الخلفية المعرفية للمواضيع المتعلقة بمختلف المشكلات المدرسية، كصعوبات التعلم والتأخر الدراسي وسوء التكيف وبطء التعلم، وغيرها من المشكلات التي إذا لم يتم التكفل بها أفرزت نتائج سليبة تؤثر على الفرد وعلى البيئة المدرسية وحتى على المجتمع.

هذا العلم – علم النفس المدرسي – كما يفهم من اسمه يهتم بالمدرسة – البيئة التربوية – المهمة في حياة كل فرد في المجتمع، على اعتبار أن المدرسة هي البيئة التي تلي الأسرة في الأهمية بالنسبة لتربية وتنشئة الأفراد، إن علم النفس المدرسي يعتبر ذا فائدة كبيرة لكل دارس وباحث في ميدان التعليم، ولا نكون مبالغين في الأمر عندما نقول أن علم النفس المدرسي يفيد في جميع مجالات الحياة، سواء للدارس والمتخصص أو لغير الدارس والمتخصص، فهو يفيد المعلم أكبر إفادة في مجال عمله بالمدرسة، فلم يعد يقتصر دور المعلم على التلقين فقط بل تعددت وتنوعت هذه الأدوار، فنجد المعلم المرشد والمعلم الموجه والمعلم المربي والمعلم الأخصائي المعالج لبعض المشكلات التي تواجه الطالب، كما أفاد في مجال تعلم الأطفال العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة، والعمل على مواجهة مشكلاتهم والسعي لإكسابهم ما يمكن من الخبرات في المواقف التعليمية.

وعلى اعتبار أهمية المدرسة في حياة المجتمعات المعاصرة، من حيث هي المؤسسة الرسمية التي أوكلها المجتمع مهمة تربية أبنائه وتعليمهم، وذلك من خلال ترجمة أهداف المجتمع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية إلى عادات سلوكية يكتسبها التلميذ عن طريق التعلم، ونظرا للأهمية الاستراتيجية لهذه الوظيفة وخطورتها في ذات الآن، كان لا بد من وجود خدمات مرافقة للعملية التربوية تسهم في دعم المدرسة وإسنادها بالمتخصصين النفسيين، الذين يسهمون في التقليل من حدة المشكلات المدرسية التي يمكن أن تعيق التمدرس السليم، وتؤثر بذلك على مردودية المدرسة وفعاليتها، ولقد تفطنت العديد من الأنظمة التربوية الحديثة لأهمية هذه الخدمات، ودورها في إسناد المؤسسات التربوية، فخصصت الموارد المالية والإمكانيات المادية لتكوين الأخصائيين النفسيين المدرسيين، باعتبارهم الأكثر فهما لطبيعة المتمدرسين وحاجاتهم، ومتطلبات التكيف الشامل مع البيئة المدرسية، والذي يساعد بدوره على تفعيل عملية التعلم، وبالتالي المساهمة في فعالية العملية التعليمية.

وإذا أقررنا بضرورة الانطلاق دائما من التلميذ واهتماماته وحاجاته، وجب علينا ألا نكتفي بذلك، بل الأخذ في الاعتبار محيط التلميذ المدرسي من إدارة ومعلمين وسائر الموظفين ومحيطه العائلي، وضرورة التعاون بين هذين المحيطين بهدف تذليل كل العقبات أمام المتعلم، وبالتالي السعي عن طريق علم النفس المدرسي للوصول إلى ما يلائمه، من خلال توظيف كل إمكاناته، ويؤدي حينئذ دوره المطلوب بإيجابية وفاعلية، وبذلك

كله تصبح المدرسة مكانا للحياة، حياة من النوع الذي يساعد على بناء الصفات المرغوبة في التلميذ، ويعده إعدادا كاملا لكل متطلبات الحياة داخل المدرسة وخارجها.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الكثير من المشكلات المدرسية أيا كانت طبيعتها، دراسية كانت أو سلوكية أو انفعالية، تقابل في غالب الأحيان في مدارسنا باللامبالاة وكثير من عدم الاهتمام، وإذا حصل ذلك كانت الوسيلة الوحيدة للحد أو التخفيف منها هي اللجوء إلى فرض النظام والانضباط، ولو تحتم ذلك استخدام الإجبار، ورغم وجاهة هذا الأسلوب في بعض المواقف، ومع بعض الحالات إلا أن الإفراط في استخدامه قد يؤدي إلى نتائج عكسية، وقد أثبتت العديد من الدراسات أن وجود الأخصائيين النفسيين في المدارس بات أمرا ضروريا للحد من المشكلات المدرسية، باعتباره الأقدر على إدراك الطبيعة النمائية للمتمدرسين، وفهم حاجاتهم، ومساعدتهم على تجاوز ما يعانونه.

ومن هنا تظهر أهمية علم النفس المدرسي في تفهم الطبيعة الأساسية للنمو ، والعمليات الآلية التي يتم بها لما يوفره من مساعدة للمدرس على تفهم النمو ومراحله، ويقدم معلومات عن الأدوات العديدة والوسائل المتنوعة التي يمكن أن يستخدمها المدرس في مجال عمله، فالمدرس لكي يحقق النمو السليم يثير التلميذ ويحرك الدوافع فيه، ويوفر له الإرشاد ويكفل له.

3.أهداف علم النفس المدرسي Goals of school psychohogy

يشير العلماء والباحثون إلى أن أهداف علم النفس المدرسي لا تختلف في فحواها وجوهرها عن اهداف العلم بصفة عامة، حيث يسعى علم النفس المدرسي إلى تحقيق الأهداف الآتية :

فهم السلوك الإنساني Under standing

الإنسان بطبيعته مدفوع نحو المعرفة والفهم، عن طريق الوصف والتفسير وإزالة الغموض مثلا في الإجابة عن السؤالين (كيف ، ولماذا؟) يحدث هذا السلوك ، فالفهم هو الهدف الاساسي للعلم، حيث يشير إلى عملية شرح أو تفسير العلاقات عن طريق التعرف على أسباب حدوثها، وعلى العوامل التي تؤثر فيها، والأفكار التي تقدم فهما حقيقيا للظاهرة يجب أن تكون من نوع يمكن إثباته تجريبيا، ومما لا يمكن نقضه بسهولة عن طريق أفكار أخرى.

التنبؤ بالسلوك Prediction

يشير التنبؤ إلى القدرة على معرفة الظواهر المستقبلية في مجال معين، بالاستناد على معرفة العلاقات الموجودة بين المتغيرات الحالية، مثل التنبؤ بالمستوى التحصيلي لطلاب السنة الجامعية الأولى بناء على تحصيله في المرحلة الثانوية، ويتمثل التنبؤ في الإجابة عن السؤالين (ماذا يحدث ن ومتى يحدث ؟) فبالعلم نقيم المفاهيم والنظريات إلى المدى الذي تسمح فيه بإجراء التنبؤات التي لم يكن بالإمكان أن تحدث في غياب هذه المفاهيم، كما أن التنبؤ بالسلوك لا يحدث إلا من خلال علاقة الفرد بالبيئة .

ضبط السلوك والتحكم به Controlling

ويعني قدرة الباحث على التحكم ببعض المتغيرات المستقلة التي تسهم في إحداث ظاهرة ما لبيان أثرها على العوامل التابعة، وتتوقف هذه العملية على وجود علاقات سببية بين متغيرين أو أكثر، وعلى إمكانية معالجة هذه التغيرات بحيث يتمكن الباحث من تغيير قيمته لبيان أثره في المتغيرات الأخرى، ويمكن ضبط السلوك عن طريق تعزيز السلوكات المرغوب فيها، وإطفاء واستئصال السلوكات غير المرغوب فيها، بالإضافة إلى تشكيل سلوكات جديدة لم تكن موجودة عند المتعلم .

ووفقا لهذه السيرورة، تتجلى أهم أهداف علم النفس المدرسي، في فهم سلوكات المتعلمين أيا كانت طبيعتها، خاصة عندما يتعلق الأمر بالسلوكات غير السوية، أو بعض المشكلات المدرسية التي تحتاج إلى فهم ودراية وتعمق، من خلال تحليلها وتشخيصها في سياق البيئة المدرسية وما يرتبط بها، وذلك من خلال استخدام أدوات البحث العلمي المناسبة لطبيعة المشكلة، واستخدام الأسلوب المناسب للتكفل بها، ومن المشكلات التي تتطلب دراسة وتشخيصا عزوف بعض المتمدرسين عن التعاطي مع المواقف التعليمية، وعدم التفاعل مع المحتويات المقدمة، لأسباب مختلفة تحتاج إلى بحث ودراسة لضمان حد أدنى من التفاعل الصفي لهذه الفئة.

كما يهدف علم النفس المدرسي إلى تقديم خدمات نفسية، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للمتعلمين من أجل تنمية صحتهم النفسية، ونموهم وتطورهم التربوي، وذلك من خلال إكساب المتعلم مجموعة مهارات سلوكية، وعادات انفعالية، واتجاهات إيجابية بطريقة متكاملة، بحيث يحقق ذلك التوافق السوي مع اقرانه ضمن الإطار الصفي الذي ينتمي إليه، ويعمل المشتغلون في مجال علم النفس المدرسي على دراسة وتشخيص المشكلات المدرسية، ووضع البرامج اللازمة لمعالجتها وتقوية القدرة العقلية والانفعالية والاجتماعية لدى الطلاب وتحديد المتميزين منهم، وكذلك الذين يعانون مشكلات نمائية والتي قد تظهر في المدرسة كتأخر القراءة والكتابة وبطء التعلم ومساعدة إدارة المدرسة والمعلمين في مشكلاتهم.

ويمكن أن نختصر أهداف علم النفس المدرسي في نوعين من الأهداف:

- **أهداف نظرية:** فباعتبار علم النفس المدرسي حقل معرفي جديد، يبحث في موضوعين أساسين هما التعلم والمتعلم، وهو بهذا الاعتبار يسعى إلى توليد المعرفة المتعلقة بمواضيع التعلم المدرسي، وعلاقته بالبيئة المدرسية والصفية على حد سواء، وأهم المعوقات التي يمكن أن تعرقله، وكذا المواضيع المتعلقة بطبيعة المتعلم، من حيث استعداداته وقدراته وحاجاته وسماته الشخصية خصائصه النمائية ومتطلباتها، كما يسعى إلى تنظيم هذه المعرفة العلمية المتخصصة على نحو منهجي، تشكل الإطار المرجعي لفهم المواضيع السابقة.
- **أهداف تطبيقية:** يتضمن هذا النوع من الأهداف صياغة هذه المعرفة العلمية المتخصصة، في اشكال تمكن المعلمين والتربويين والمتخصصين النفسيين، من استخدامها وتطبيقها في المواقف التعليمية والتعلمية، في سياق البيئة المدرسية أو البيئة الصفية، أي الاستفادة من المعلومات النفسية النظرية في المجالات العملية التطبيقية.

4. وظائف علم النفس المدرسي Functions of school psychology

يتميز علم النفس المدرسي بأنه علم نظري تطبيقي، فلا يمكن تصور ميدان هذا العلم على أنه ميدان تطبيقي بحت، وإنما يقع في منطقة متوسطة بين العلوم الأساسية البحتة والعلوم التطبيقية، وفيما يلي يمكن أن نلخص وظائف أو مهام علم النفس المدرسي بالنسبة للمعلم فيما يلي :-

- استبعاد الآراء التربوية التي تعتمد على الملاحظات غير الدقيقة، والعمل على حسم المبادئ والآراء التربوية عن طريق البحث العلمي المنظم .
- تزويد المعلم بحصيلة من المبادئ والفرضيات الصحيحة التي تصلح لمعظم الممارسات والمواقف الصفية، وذلك لتسهيل عملية تعديل السلوك عند المتعلمين، ومن أمثلة هذه المبادئ مبدئي التعزيز والانطفاء وغيرهما .
- إكساب المعلم مهارات الفهم النظري والتطبيقي للعملية التربوية ، كمهارة رسم الأهداف ، ووضع المناهج وتطويرها، القياس والتقويم ...إلخ .
- توجيه عمليات النمو المختلفة في الطريق السليم، عن طريق تفهم المبادئ الأساسية للنمو والعمليات العقلية التي يمر بها الفرد.
- مساعدة المعلم على التنبؤ العلمي بالسلوك وضبطه وتعديله.

- تدريب المعلمين على الفهم العلمي السليم لمختلف أنماط السلوك والظواهر النفسية التي تصدر عن المتعلم (عملية التوجيه والإرشاد المدرسي) حيث تعد هذه الوظيفة من أهم الوظائف لعلم النفس المدرسي.

وإذا كانت هذه الوظائف تقتصر على المعلمين والمشتغلين بالتربية من مديرين مشرفين تربويين، فإن أهم وظائف علم النفس المدرسي في المنظومات التربوية الحديثة تمتد لتشمل فئة من الممارسين المحترفين، ونقصد بهم فئة الأخصائيين النفسيين المؤهلين للممارسة النفسية وفق الأصول والضوابط المتعارف عليها، فعلى اعتبار أن المعلم في ممارسته لمهامه يأخذ بعين الاعتبار الدور التعليمي أو التربوي، فإنه قد يستأنس بالمبادئ النفسية أما أن يمارسها ممارسة متخصصة فإن هذا الأمر بعيد المنال وتكليف للمعلم فوق طاقته، والأولى بالممارسة النفسية في المدرسة هم أخصائيو علم النفس المدرسي المؤهلون معرفيا ومهاريا للتعامل مع بعض الحالات من المتعلمين المتمدرسين، الذين يعانون اختلالات في التكيف مع البيئة الصفية بمكوناتها سيما المواقف التعليمية، أو البيئة المدرسية وما تحتويه من علاقات مدرسية ذات بعد اجتماعي.

المراجع

- ✓ أمل بكري، ناديا عجوز (2011). علم النفس المدرسي. الطبعة الأولى. المملكة الأردنية: منشورات المعتز للنشر والتوزيع.
- ✓ سليمان، سناء محمد (2010). قراءات في علم النفس المدرسي. ط1. القاهرة: عالم الكتب.
- ✓ كامل، محمد علي (بدون سنة). علم النفس المدرسي الأخصائي النفسي المدرسي ودوره في تقديم الخدمات النفسية. بدون طبعة. بدون بلد: بدون دار نشر.